

شبهة الطاعنين في عصمة نبينا ﷺ

في حديث "نحن أحق بالشك من إبراهيم"
والرد عليها

الدكتور حمزة حسين عبيد

مدرس العقيدة الإسلامية

كلية التربية للبنات - قسم التربية الإسلامية

ملخص باللغة العربية

إن مما دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع واختيار عنوانه ما نراه اليوم من حملة ظالمة غاشمة للنيل من شخص رسولنا الكريم ﷺ، وقد كان سائر الصحابة الكرام رَضَوْا بِدُونِهِ بأرواحهم، فما أحوجنا إلى صدقهم في الغداء والدفاع عن حضرته ﷺ، وإن كان علماء العقيدة لم يقصروا عن الدفاع عنه ﷺ في مؤلفاتهم، إلا أن الأعداء اليوم يستلون السلاح من أيدينا ليطعنونا به، ومما استلوه من شريعتنا وفسروه بغير المعنى المراد منه حديث الشك الذي هو محور دراستنا هذه.

وقد قسمته على مبحثين:

أولهما: في تعريف العصمة ومواطنها وحكمها عند العلماء.

الثاني: منها في تخريج حديث الشك وبيان الخطأ في فهمه وذكر أقوال العلماء والشارحون في بيان معناه.

ثم ختمت بحثي بأهم ما توصلت إليه فيه، ثم رتبته بمصادره بحسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفات.

وقد توصلنا فيه إلى إن عصمة الأنبياء عموماً وعصمة سيدنا محمد ﷺ على الخصوص أصل من أصول الدين لا تجوز مخالفته؛ لأنه مما أجمع عليه العلماء ولا سيما العصمة من الكبائر والشك في قدرة الله تعالى منها وهو محال في حق الأنبياء عليهم السلام وفي حقه ﷺ.

وإن المستدلين بحديث الشك الوارد بطريق صحيح قد خطئوا؛ بسبب الخطأ في تفسير الآية التي تذكر سؤال إبراهيم ربه عن كيفية إحياء الموتى، وتجاهلوا علاقتها بغيرها من آيات القرآن الكريم، وإن حديث الشك مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام، وليس إثباته كما توهموا منه، ولا يجوز الاستدلال بالأحاديث التي قصد بها النبي ﷺ التواضع وهضم النفس على منزلته ﷺ لأن التواضع من خلقه العظيم ﷺ.

يجب الحذر من التشكيك في عصمة الأنبياء؛ لأن القصد منه التشكيك بالشرائع السماوية وخصوصاً شرعة خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

والله أسأل أن أجد عملي هذا في الميزان يوم القيامة مقبولاً عند الله، ومجزياً بعفوه وشفاعة رسوله ﷺ، والصفح

عن التقصير فيه وفي غيره إنك يا ربنا سميع الدعاء.



Search summary

The suspicion of the infidels in the infallibility of our Prophet peace be upon him

In an interview, "We are more worthy of doubt than Abraham"

And respond to them

What led me to write in this subject and choose the title of what we see today from the campaign unjust unjust to deprive the person of our Prophet peace be upon him, and was the rest of the Companions honored may Allah be pleased with them Vdunh lives, what we need to sincerity in the redemption and defense of his presence (Peace and blessings of Allaah be upon him), even though the scholars of faith did not limit the defense of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in their writings. However, today's enemies are taking weapons from our hands to challenge us, and what they borrowed from our Sharia and interpreted it without the meaning of this question.

The second was the graduation of the question and the wisdom of the scholars, and the second of them in the graduation of the talk of doubt and the statement of error in understanding and stated the words of scholars and partners in a statement meaning, and then concluded my research with the most important findings, and then arranged sources according to the spelling of the names of the works.,

We have concluded that the infallibility of the prophets in general and the insinuation of our master Muhammad (peace and blessings of Allaah be upon him), in particular, is an origin of the religion that can not be violated, because it is unanimously agreed upon by scholars, especially the infallibility of sins and doubts about the ability of Allaah. The right of Allah's blessings and peace be upon him., Because of the error in interpreting the verse that mentions the question of Ibrahim Rabbo about how to revive the dead, and ignored the relationship with other verses of the Holy Quran, and the talk of doubt is based on the denial of doubt about Abraham, peace be upon him, and not prove it as they fancied him. ,

It is not permissible to deduce that the hadeeth of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) meant modesty and digestion of the soul on his position (peace and blessings of Allaah be upon him) because the humility of his great creation (peace and blessings of Allaah be upon him.).

One must beware of questioning the infallibility of the Prophets, because it is intended to question the divine laws, especially the Charter of the Prophets of Prophet Muhammad (PBUH) and his family and companions..

And God ask that I find this work in the balance on the Day of Resurrection acceptable to God, and rewarded with the forgiveness and intercession of His Messenger peace be upon him, and forgiving the default in it and in other you, O Lord, hearing supplication.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن مما دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع واختيار عنوانه ما نراه اليوم من حملة ظالمة غاشمة للنيل من شخص رسولنا الكريم ﷺ، وقد كان حسان بن ثابت يقول: فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء^(١) وكذلك سائر الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا يقدونهم بأرواحهم، فما أحوجنا إلى صدقهم في الفداء والدفاع عن حضرتهم ﷺ، وان كان علماء العقيدة لم يقصروا عن الدفاع عنه ﷺ في مؤلفاتهم، إلا أن الأعداء اليوم يستلون السلاح من أيدينا ليطعنونا به، ومما استلوه من شريعتنا وفسروه بغير المعنى المراد منه حديث الشك الذي هو محور دراستنا هذه، وتجاهلوا منازل الأنبياء وعصمتهم بل قصدوا به الطعن بعصمة نبينا ﷺ ومن ثم الطعن بشريعته الغراء، ومن الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث بل، هي مما آمني أن أجد من علماء الإسلام من سلك بغير قصد مسلك الأعداء، فإذا قرنا في هذا البحث ما قرره جمهور علماء الكلام من عصمة الأنبياء دون غيرهم زالت هذه الصعوبة، إذ قد عرفنا ان من اخطأ فهم الحديث ليس معصوما.

وقد أفدت من مؤلفات علمائنا الأجلاء في علم العقيدة والكلام في موضوع العصمة، كالمواقف

(١) السيرة النبوية: ابن هشام: ٨٧/٥

للإيجي وشرحه للجرجاني، وشرح المقاصد للتفتازاني وغيرها، وكذلك شروح الحديث كفتح الباري لابن حجر وعمدة القاري للعيني رحمهم الله جميعا.

وقد قسمته على مبحثين: أولهما في تعريف العصمة ومواطنها وحكمها عند العلماء، والثاني منها في تخريج حديث الشك وبيان الخطأ في فهمه وذكر أقوال العلماء والشارحون في بيان معناه، ثم ختمت بحثي بأهم ما توصلت إليه فيه، ثم رتبته بمصادره بحسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفات، والله أسأل أن أجد عملي هذا في الميزان يوم القيامة مقبولا عند الله، ومجزيا بعفوه وشفاعة رسوله ﷺ، والصفح عن التقصير فيه وفي غيره إنك يا ربنا سميع الدعاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

المبحث الأول

العصمة تعريفها ومواطنها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:

التعريف بالعصمة في اللغة:

وردت العصمة في اللغة لعدة معان أشهرها: المنعة، والحفظ، قال صاحب اللسان: (العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، يقال عصمه، يعصمه، عصياً: منعه ووقاه)^(٢)

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢/٤٠٣-٤٠٥، وينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٣٣٢، وختار الصحاح للرازي ص٤٣٧، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٤/١٤٨، ١٤٩،



فقد هدى إلى صراط مستقيم^(٦)، قال: «وأصل العصم: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصمه. والممتنع به معتمص به»^(٧).

وقال تفسيراً لقوله تعالى: ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله﴾^(٨): يقول سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء فيمنعني منه أن يغرقني، ويعنى بقوله (يعصمني) يمنعني، مثل عصام القرية الذي يشد به رأسها فيمنع الماء أن يسيل منها.

وهذا يدل على أن مادة (عصم) في القرآن الكريم حيثما وردت بشتى تصرفاتها تدور على المنع والامتناع، وهو أصلها في الوضع اللغوي، وقال ابن الأثير^(٩): العصمة: المنعة، والعاصم: المانع الحامي، والاعتصام: الامتسك بالشيء افتعال منه، ومنه شعر أبي طالب يمدح النبي ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

شمال اليتامى عصمة للأرامل

أي يمنعهم من الضياع والحاجة^(٩)

(٥) (الآية ١٠١ آل عمران)

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤/ ٢٦.

(٧) (الآية ٤٣ هود)

(٨) هو المبارك بن محمد الشيباني الجزري، يكنى أبا السعادات، ويلقب مجد الدين، ويعرف بابن الأثير وهو واحد من الأئمة الأعلام في الحديث والفقه والنحو، قال ابن خلكان: كان فقيهاً محدثاً ورعاً مهيباً من مؤلفاته الغزيرة والنافعة النهاية في غريب الحديث، وأسد الغابة وغير ذلك مات سنة ٦٠٦ هـ له ترجمة في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٩ - ٢٩١، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢ - ٢٣، وطبقات الفقهاء والشافعيين لابن كثير ٢/ ٧٧٦، ٧٧٧.

(٩) الثمال بالكسر الملجأ والغيث. وقيل هو المطعم في الشدة.

وبهذا المعنى جاءت الكلمة في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام وابنه: ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾^(١٠) وقال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾^(١١)

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله"^(١٢)

وعلى المعنى الأول دار كلام المفسرين، قال الإمام الطبري^(١٣) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن يعتصم بالله

والمصباح المنير للفيومي ٢/ ٥٦٦

(١) لأيتان ٤٢، ٤٣ هود

(٢) جزء من الآية ٣٢ يوسف.

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله... الخ ١/ ٢٣٣ رقم ٢٠، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة... الخ ٦/ ١٣٠ رقم ٢٩٤٦ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان من الأئمة المجتهدين، ولم يقلد أحداً، وكان إماماً في فنون كثيرة منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك، توفي سنة ٣١٠ هـ له ترجمة في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢/ ١٦٢ رقم ٥٨٩، وطبقات المفسرين للدوادري ٢/ ١١٠ - ١١٨ رقم ٤٦٨، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١/ ٢٢٢ رقم ٢٢.

المطلب الثاني: العصمة في اصطلاح

علماء العقيدة:

عرّف المتكلمون والمحدثون من أهل السنة العصمة بتعريفات مختلفة لفظاً إلا أن المعنى واحد، وهذه التعريفات وإن اختلفت في التعبير، فإنها جميعها تنتهي إلى حفظ الله تعالى إياهم من موافقة الذنوب والمخالفات بعد البعثة، باتفاق المحققين، وقبل البعثة على التحقيق.

ولعل من أحسن التعريفات للعصمة وأسلمها ما ذكره صاحب كتاب نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض فقال: (لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء)^(١)، ومن المستحسن في تعريفها أيضاً من قال: «هي حفظ الله عز وجل للأنبيا بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهى كراهة، ولو في حال الصغر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء»^(٢).
فالعصمة إذن تعنى حفظ الله تعالى لأنبياؤه عن

مواقعة الذنوب الظاهرة والباطنة، وأن العناية الإلهية لم تنفك عنهم في كل أطوار حياتهم قبل النبوة وبعدها، فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب والسرقة، وغير ذلك من المنهيات المستقبحات في الخارج، ومحفوظون في الباطن من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن، فلم تُعرف لهم زلة، ولا سُجلت عليهم هفوة في مجتمعاتهم المليئة بالشحناء والعداوة والبغضاء لهم، ولو أن أعدائهم علموا من ذلك شيئاً لطاروا به فرحاً، ليدفنوا ما ذاع لهم من مكارم الأخلاق، وصالح القول والعمل، والصيت الذائع في الآفاق^(٣).

المطلب الثالث: مواطن العصمة:

والعصمة التي أوجبها الله تعالى لرسله -عليهم الصلاة والسلام- تتعلق بالاعتقادات، والتبليغ، والأقوال، والأفعال، وخص نبينا ﷺ بعصمة بدنه الشريف من القتل، وعصمة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ثابتة لهم قبل النبوة وبعدها في الكبائر والصغائر، عمداً أو سهواً على الأصح، في ظاهرهم وباطنهم ورضاهم وغضبهم، وهو ما ندينه لله تعالى به، لأن حال الأنبياء قبل النبوة يؤثر على مستقبل

ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/٢١٦، ٣/٢٢٥، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٥٢، ٣٥٣ برقم ٢٧١.

(١) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ٤/٣٩، وينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٥٠، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٧٧، وفتح الباري ١١/ ٥١٠ رقم ٦٦١١، وشرح العقائد للسعد التفتازاني ١/٢٠٠، وشرح المواقف للجرجاني ٨/٢٨١، ٢٨١، والمسامرة بشرح المسامرة لكحال بن الهمام ص ٢٢٧.

(٢) شرح الخريدة مع حاشية الصاوي للدردير ص ١٠٤ بتصرف، وينظر: إتحاف المرید شرح جوهرة التوحيد بهامش حاشية محمد الأمير على جوهرة التوحيد ص ١١٤

(٣) ينظر: إتحاف المرید بحاشية الأمير: ص ١١٤، وتحفة المرید على جوهرة التوحيد للبايجوري: ص ٧٥، وينظر أيضاً: رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني (رسالة دكتوراه) إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة.



دعوتهم بعد النبوة سلباً وإيجاباً، وهذا هو الصحيح عندي ويطمئن إليه القلب، وتستريح إليه النفس، ولست بدعا فيه، بل هو مذهب كثير من العلماء المحققين من أهل الكلام والحديث^(١).

المطلب الرابع: أدلتها من القرآن

والسنة وأقوال العلماء:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقرآنٍ غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت

فيكم عُمرًا من قبله أفلا تعقلون﴾^(٢) فهذه الآية الكريمة كانت جواباً من النبي ﷺ على ما طلبه مشركو مكة من رسول الله ﷺ أن يأتيهم بقرآن غير الذي أتاهم به، لا يكون فيه عيب لأهتيم، أو يبدله من تلقاء نفسه على ذلك الشرط، ليقبلوا منه بعد ذلك دعوته للإسلام، فكانت حجة رسول الله ﷺ عليهم، أنه رسول مبلغ عن ربه عز وجل، وليس إليه تبديل القرآن أو تقوله من عنده ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾.

ثم قال محتجاً عليهم في صحة ما جاءهم به "قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به"، إنما جئتمكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته؛ أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل، لا تنتقدون على شيئاً تعيرونني به، ولهذا قال: ﴿فقد لبثت فيكم عُمرًا من قبله أفلا تعقلون﴾ أي: أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل^(٣)، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه، فيما سأله من صفة النبي ﷺ قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا، فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس

(١) منهم ابن حزم في الفصل في الملل والنحل ٢/٢٨٥، ٣٢١، والأبي في المواقف في علم الكلام ص ٣٥٨، ٣٥٩، والجرجاني في شرح المواقف ٨/٢٨٨ - ٢٩٠، وسعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد ٢/١٤٢، ١٤٣، وفخر الدين الرازي في المحصل ص ٢١٩، ٢٢٠ والقاضي عبد الجبار المعتزلي في شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٣، ٥٧٥، والشوكاني في إرشاد الفحول ١/١٦١، وكثير من المحققين من أهل الحديث منهم القاضي عياض في الشفا ٢/١٤٥، والقسطاني في المواهب اللدنية، والزرقاني في شرحه على المواهب ٩/٥، ٧/١٤، والأبي في إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ١/٣١٥، وابن الوزير البيهقي في الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ١/١١٨، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة عقد فصلاً بعنوان "ذكر ما خصه الله عز وجل به من العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية ١/١٨٥ - ٢١٢، وكذلك فعل البيهقي في دلائل النبوة أيضاً فقد عقد عنواناً لهذا الموضوع فقال: «باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله ﷺ في شيبته عن أقذار الجاهلية ومعانيتها... الخ ٢/٣٠ - ٤٢، ومثلها السيوطي في الخصائص الكبرى حيث قال: «باب اختصاصه ﷺ بحفظ الله إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية» ١/١٤٨ - ١٥٢.

(٢) الآيات ١٥، ١٦ يونس

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/١٩٠.

ورجاحة العقل، والخلق القويم^(٥)، وما كان كذلك إلا بعصمة الله عز وجل له قبل نبوته، وخلاصة القول أنه يمتنع وقوع صورة المعصية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل بعثتهم، لا لكونها معصية حقيقية تترتب عليها المؤاخظة والعقاب، بل لأن الله تعالى خلقهم مجبولين على مجانبتها، لما علمه جل شأنه من أنهم سيكونون مصاييح الظلام، وهداة الأنام، يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويرشدونهم إلى صراط العزيز الحميد، فلا تمر بهم طرفة عين إلا وهم مراقبون لحضرتهم، مشاهدون لعظمتهم كما تشهد بذلك سوابقهم الحميدة، وتوارخهم المجيدة، وإذا اتضح هنا صحة ثبوت عصمة الله عز وجل للأنبياء، وحفظ بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهني عنه، ولو نهى كراهة قبل النبوة وبعدها، فنصير إلى بيان الشبهة والرد عليها.

المبحث الثاني شبهة حديث الشك والرد عليها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:

تخريج الحديث ووجه الشبهة فيه:

روى الإمامان الجليلان البخاري ومسلم^(٦)

(٥) ينظر: محمد رسول الله ﷺ: محمد صادق عرجون ١: ٢٩١، ودلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين لعبد الله الغاري ص ١٣٨
(٦) أخرجه أحمد (٢/٣٢٦، رقم ٨٣١١)، والبخاري

ثم يذهب فيكذب على الله^(١)، وقد كان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة، وزعيم المشركين ومع هذا اعترف بالحق، والفضل ما شهدت به الأعداء.

يظهر لنا مما استدلل به هرقل على صدقه ﷺ في نبوته، ما سبق ذكره أن حال الأنبياء قبل النبوة يؤثر على مستقبل دعوتهم بعد النبوة سلباً وإيجاباً، فكيف بالعصمة لهم بعد النبوة. ويؤكد أيضاً قوله سبحانه: ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾^(٢)

* وقوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾^(٣)

* وقوله عز من قائل: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾^(٤)

وفي هذه الآيات الكرييات كان التعبير فيها «بصاحبكم»، تذكيراً بأن كفار مكة أعرف الناس به، فمحمد ﷺ لم يفارقهم، وهم لم يفارقوه، بل صحبهم وصحبوه، ولازمهم ولازموه، وهذا يفيد أن كفار مكة في اتهامهم لرسول الله ﷺ بالضلال والجنون، مكابرون، والدليل حاله قبل نبوته حيث صحبتهم له منذ نشأته بينهم، واعترافهم له بالأمانة والصدق

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها كتاب بدء الوحي ١/٤٢ - ٤٤ رقم ٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ٦/٣٤٦ - ٣٤٨ رقم ١٧٧٣ من حديث ابن عباس رضی الله عنهما

(٢) الآية ١٨٤ الأعراف

(٣) الآية ٢ النجم

(٤) الآية ٢٢ التكوير



ورواه النسائي وابن ماجه، والطبراني في الاوسط والكبير، والطحاوي في مشكل الآثار وابن حبان في صحيحه، واحمد والبخاري، وفي مسند الشاميين. وأوجه الشبهة فيه هي:

١. طعن بهذا الحديث أهل الأهواء والبدع من القدماء، وردوه بذريعة انه يخالف عصمة الأنبياء عليهم السلام^(٤)، و ممن قبله من المحدثين من زعموا أن فيه طعنًا في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقالوا: «إن الظاهر من قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ثبوت الشك لرسول الله ﷺ، ولسائر الأنبياء، وأنهم جميعاً أولى به من إبراهيم، ولو فرض عدم إرادة الأنبياء جميعاً فأرادة رسول الله ﷺ مما لا بد منها، والحديث نص صريح في أنه أولى بالشك»^(٥).
٢. وأخطأ بعضهم في معنى إجابة الداعي في تكملة الحديث.

٣. وتوهّموا فيه تفضيلاً للأنبياء على نبينا ﷺ.

- بيروت ط ٢، ١٤٠٦ تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيه: ٤٨٥/١
- (٤) حكاه عنهم الإمام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ص ٩١، ٩٢
- (٥) أبو هريرة: عبد الحسين شرف الدين ص ٩٠، وينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي ١/ ٢٠، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء، والمحدثين لصالح الورداني ص ٣١٦.

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحي الموتى﴾ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»^(١)

ورواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، وَيَرْحَمَ اللَّهُ لَوْطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ^(٢).

ورواه البخاري هكذا في باب الطيب للجمعة برقم (٣٣٧٢) ومسلم في باب زِيَادَةَ طَمَئِنَّةِ الْقَلْبِ بَتَّظَاهِرِ الْأَدْلَةِ، ورواه ابن منده في كتاب الإيذان^(٣)،

(٤/١٦٥٠، رقم ٤٢٦٣)، ومسلم (٤/١٨٣٩، رقم ١٥١)، والنسائي (٦/٣٠٥، رقم ١١٠٥٠). وأخرجه أيضاً: ابن ماجه (٢/١٣٣٥، رقم ٤٠٢٦)، وابن حبان (١٤/٨٨، رقم ٦٢٠٨)، وأبو عوانة (١/٧٨، رقم ٢٣٠).

(١) جزء من الآية ٢٦٠ البقرة، والحديث أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ٦/٤٧٣ رقم ٣٣٧٢، وفي كتاب التفسير، باب (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى) ٨/٤٩ رقم ٤٥٣٧، ومسلم (شرح النووي) كتاب الإيذان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ١/٤٦٠ رقم ٢٣٨، وكتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٨/١٣٤ رقم ٢٣٧١.

(٢) الأسماء والصفات: البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨ هـ هـ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - ط ١، جدة: ٤٨٧/٢

(٣) الإيذان: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده: مؤسسة الرسالة

بذلك»^(٢).

وهكذا فهم الإمام مسلم فصدر الباب لحديث الشك بقوله: «باب زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَطَاهُرِ الْأَدْلَةِ»^(٣)، فقد فهم - رحمه الله - أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب زيادة الطمأنينة، وليس شكا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال أبو عوانة: «وَسَمِعْتُ الْقَاضِيَّ إِسْمَاعِيلَ، يَقُولُ: كَانَ يَعْلَمُ بِقَلْبِهِ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَرَى مُعَايِنَةً»^(٤).

ويقول الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله: «إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأل: كيف تُحْيِي الموتى؟ أي أنه يطلب الحال التي تقع عليها عملية الإحياء، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يتكلم في الإحياء، وإنما كان شكه عَلَيْهِ السَّلَامُ في أن الله سبحانه قد يستجيب لطلبه في أن يريه ويطلععه على كيفية إحياء الموتى؟ "وَضَرَبَ مَثَلًا لَهُ فَقَالَ: "إِنْ الْوَاحِدُ مِنَّا يَقُولُ لِلْمُهَنْدِسِ: كَيْفَ بَنَيْتَ هَذَا الْبَيْتَ؟ إِنْ صَاحِبُ السُّؤَالِ يَشِيرُ إِلَى حَدِيثٍ وَإِلَى مُحَدَّثٍ وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي تَمَّ بِنَاؤُهُ، فَهَلْ مَعْرِفَةُ الْكَيْفِيَّةِ تَدْخُلُ فِي عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ؟ كَلَّا، لَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُؤْمِنًا، وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَزِدَادَ اطمئنناً؛ لِأَنَّهُ أَدَارَ بَفِكْرِهِ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا عَمَلِيَّةُ الْإِحْيَاءِ، لَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ عَلَى أَيْةٍ

(٢) فتح الباري ٦/ ٤٧٥ رقم ٣٣٧٢، وينظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٢٩٢.
(٣) صحيح مسلم: برقم (٣٩٩)
(٤) مستخرج أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو عوانة الإسفراييني النيسابوري: ١/ ١١١،

المطلب الثاني:

الخطأ في تفسير القرآن والرد عليه:

إن المستدلين بحديث الشك وقعوا في الخطأ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمَنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، والآية إلى تمامها قد فسرها المفسرون رحمهم الله، ويخص موضوعنا هذا البداية منها: قوله تعالى على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمَنَنَّ قَلْبِي﴾، فقد توهم منها من توهم الشك منه عَلَيْهِ السَّلَامُ بالاستدلال بحديث الشك المتقدم، فما هو تفسيرها؟ وقد فسرها المفسرون بما يأتي:

إن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب رؤية كيفية الخلق بتفاصيلها، لقوله: كيف، ولم يقل: هل تقدر، أي انه: "سؤال عن هيئة الإحياء، لا عن نفس الإحياء، فإنه ثابت مقرر لدى سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ما شهد به رب العزة لسيدنا إبراهيم رداً على سؤاله، بقوله عز وجل: "أولم تؤمن" والاستفهام هنا تقرير للمنفى، وهو الشك، كأنه قال له: ألسنت مؤمناً بالبعث؟ فكان جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ: "بلى"؛ لإثبات المنفى وهو الشك، والمعنى: أنا مؤمن بالبعث كما علمت ما في قلبي، لكنني أريد أن يطمئن قلبي برؤية كيفية فقط، وأعتبر

(١) (البقرة: الآية: ٢٦٠)،

(١) صورة تكون

الموتى، ليعاين ذلك عياناً، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك، فقال له ربه: (أولم تؤمن؟) يقول: أولم تصدق يا إبراهيم بأني على ذلك قادر؟ قال: بلى يا رب، لكن سألتك أن تريني ذلك ليطمئن قلبي، فلا يقدر الشيطان أن يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت، حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد^(٣)

وبعد هذا فلا نستغرب إن وجدنا من يخطئ فهم الحديث؛ إن كان عالماً كبيراً كالطبري أخطأ فهمه، على أننا لا نسلم كتابه من التحريف فليس الحفظ إلا لكتاب الله تعالى.

ومن دافع عنه المفسر القرطبي رحمه الله إذ قال: «وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وذلك هو المنفى عن الخليل العليق، وإحياء الموتى إنما ثبت بالسمع، وقد كان إبراهيم العليق أعلم به، يدل ذلك على ذلك قوله: «ربى الذى يحيى ويميت» ثم رجع القرطبي الى سبب طلب الخليل من ربه إحياء الموتى فقال: «واختلف في المحرك له على ذلك، فقيل: إن الله وعده أن يتخذ خليلاً فأراد آية على ذلك» ثم استدلل بالقرآن على ما ذكر فقال: «ولا يجوز على الأنبياء عليهم السلام مثل هذا الشك، وقد أخبر

وكذلك قال سيد قطب رحمه الله: «فليس في مثل هذا الطلب أي ناحية تعجيزية، بل هو تعبير عن الافتنان بفنه الجميل، واعتراف به، ولهفة على رؤية دقائق فنه، وسعادة كبيرة في تأمل كيفية ظهور لوحة رائعة، مرحلة، مرحلة، أجل: فالسؤال كان حول كيفية الإحياء، وليس حول إمكانيته أو عدم إمكانيته»^(٢).

وهذا هو مذهب أكثر المفسرين وعلماء الكلام والمحدثين سلفاً وخلفاً، وقد روى الطبري رحمه الله هذا القول عن قتادة والضحاك وابن جريج وروى ما يخالفه، إلا أنه أخطأ في الترجيح، حتى عدها العلماء من سقطات الطبري، ورد كثير منهم عليه، إذ قال فيها: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، ما صحَّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه، وهو قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، قال: رب أرني كيف يحيى الموتى؟ قال أولم تؤمن؟» وأن تكون مسألته ربّه ما سأله أن يُريه من إحياء الموتى؛ لعارض من الشيطان عرض في قلبه !!، كالذي ذكرنا عن ابن زيد أنفاً، من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر، قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء، ألقى الشيطان في نفسه !! فقال: متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيى

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٥/٤٩١-٤٩٢

(١) تفسير الشعراوي: ص ٢٦١

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله ١/٣٠١، ٣٠٢

القرآن الكريم إلى أصول الدين، والحذر من مخالفتها، وإلا كان تفسيره مردوداً عليه، ولأن إثبات العصمة للأنبياء عليهم السلام منها، فليس للمفسر أن يذهل عنها أبداً، ومن هنا يتبين لنا خطأ من أخطأ في التفسير. وهناك من فسرها بغير هذا:

* فقد حكى عن ابن المبارك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: أي ليرى من أدعوه إليك منزلتي ومكاني منك فيجيبوني إلى طاعتك^(٥)

* وروى البيهقي عن عبد الله بن المبارك، في قوله تعالى: (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) قال: بالخلة، يقول: كي أعلم أنك اتخذتني خليلاً^(٦)، وهو مروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والسدي رضي الله عنهم: أن الله تعالى أوحى إليه إني متخذ بشراً خليلاً: فاستعظم ذلك إبراهيم عليه السلام، وقال إلهي ما علامات ذلك؟ فقال: علامته أنه يجيئ الميت بدعائه، فلما عظم مقام إبراهيم عليه السلام في درجات العبودية وأداء الرسالة، خطر بباله: إني لعلني أن أكون ذلك الخليل، فسأل إحياء الميت فقال الله: (أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) على أنني خليل لك.^(٧)

* وقيل: «ليطمئن قلبي»، قال: أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك^(٨)، وهو قريب مما قبله.

الله سبحانه أن أصفياه ليس للشيطان عليهم سبيل، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(١)، جواباً لقول اللعين، والذي حكاه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٢)، وإذا لم تكن له عليهم سلطنة فكيف يشككهم؟ وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفرقتها، وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزقها. فأراد أن يرقى من علم اليقين إلى عين اليقين.^(٣)

وقد حمل الفخر الرازي «رحمه الله» على القائلين به، وعد قولهم به جهلاً وسخفاً بل كفراً وقال: «وذلك لأن الجاهل بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى كافر، فمن نسب النبي المعصوم إلى ذلك فقد كفر النبي المعصوم، فكان هذا بالكفر أولى»، وساق الأدلة عليه فقال: «ومما يدل على فساد ذلك وجوه: أحدها: قوله تعالى أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ولو كان شاكراً لم يصح ذلك، وثانيها: قوله وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، وذلك كلام عارف طالب لمزيد اليقين، ومنها أن الشك في قدرة الله تعالى يوجب الشك في النبوة فكيف يعرف نبوة نفسه»^(٤)

ولا بد من الإشارة هنا إلى ضرورة ارتكاز مفسر

(١) الإسراء: الآية: ٦٥

(٢) ص: الآية: ٨٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

القرطبي أبو عبد الله: ٢٩٨/٣

(٤) مفاتيح الغيب: الإمام العالم العلامة والخبير البحر الفهامة

فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: ط١، دار

الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٣٥/٧

(٥) الأسماء والصفات: البيهقي: ٤٨٨/٢

(٦) الأسماء والصفات: البيهقي: ٤٨٨/٢

(٧) جامع لطائف التفسير: عبد الرحمن بن محمد القماش إمام

وخطيب بدولة الإمارات العربية: ٣٨٧/٨

(٨) الأسماء والصفات: البيهقي: ٤٨٧/٢



بقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾^(٣)، وقوله سبحانه: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾^(٤) والرشد والإيقان أسمى مراتب العلم الذي لا يصح معه شك أو حتى شبهة، وكيف يصح الشك، وقد وصفه ربه تعالى بقوله: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء به بقلب سليم﴾^(٥)، فيبين رب العزة كما ترى أنه جاء ربه بقلب سليم، أنه كان سليماً من الشك، وخالصاً للمعرفة واليقين، ثم ذكر المولى عز وجل، أنه عاب قومه على عبادة الأصنام فقال تعالى: ﴿ماذا تعبدون. أ إفاً آلهة دون الله تريدون﴾^(٦)، فسمى عبادتهم إفاً وباطلاً، ثم قال سبحانه: ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾^(٧)، وهذا قول عارف بالله تعالى غير شاك! فكيف يكون قوله (رب أرني كيف تحيي الموتى) شك في البعث وإحياء الموتى؟!

المطلب الرابع:

قول الجمهور في شرح الحديث

وبناء على ما تقدم فقد أخطأ من فسر الحديث بإثبات الشك، وخالف جمهور العلماء، فماذا قال العلماء في شرحه؟

- ففي مسألة الشك قال المحدثون وشارحو

(٣) (الآية ٥١ الأنبياء)،

(٤) الآية ٧٥ الأنعام

(٥) الآية ٨٣ الصافات

(٦) الآيتان ٨٥، ٨٦ الصافات

(٧) الآية ٨٧ الصافات

* وقال أهل التصوف: أن المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشفات والتجلي، والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي، والأنوار الإلهية، فقوله «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ» طلب لذلك التجلي والمكاشفات، فقال: «أولم تؤمن قال بلى» أو من به إيمان الغيب، ولكن أطلب حصولها؛ ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي.

* وقيل: بل كان قصده بالسؤال رؤية المحيي ولكنه طلبها تلويحاً، فأجيب بالمنع منها تلويحاً، وموسى عليه الصلاة والسلام لما سأها تصريحاً، أجيب بالمنع تصريحاً^(١)

* وقيل: تقدير الآية أن جميع الخلق يشاهدون الحشر يوم القيامة فأرني ذلك في الدنيا فقال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على أن خصصتني في الدنيا بمزيد هذا التشریف.^(٢)

وهناك أقوال أخرى لا مجال لذكرها هنا، وخلاصة القول: أن من نسب الشك إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أخطأ في تفسيره خطأ كبيراً، وخالف جمهور المفسرين رحمهم الله.

المطلب الثالث: تجاهل العلاقة بين الآيات القرآنية:

إن من المتفق عليه لدى المفسرين: ضرورة ربط الآية المراد تفسيرها بأخواتها من الآيات ذوات العلاقة بها، فمن هذا القبيل الآية المتقدمة وعلاقتها

(١) تفسير السراج المنير - موافق للمطبوع: محمد بن أحمد

الشربيني شمس الدين / دار الكتب العلمية - بيروت: ١٤٦/١

(٢) مفاتيح الغيب: الإمام فخر الدين الرازي: ٣٥/٧

الحديث:

١. قال البيهقي: وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس وليس في قوله: نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم صلى الله عليهما، لكن فيه نفى الشك عن كل واحد منهما، يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتب في قدرة الله على إحياء الموتى، فإبراهيم عليه السلام أولى بأن لا يشك فيه ولا يرتاب»^(١)

٢. وكقول المزني قال القرطبي في تفسير قوله تعالى «رب ارنى كيف تحيي الموتى»: لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها: شك إبراهيم ولم يشك نبينا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه «نحن أحق بالشك منه»^(٢)، فكانه «عليه صلاة الله» يقول: إن هذا الذي تظنون شكاً، أنا أولى به، ولكنه ليس بشك، وإنما هو طلب لمزيد اليقين.

٣. قال العلامة الحافظ ابن حجر الهيتمي: أي لو شك إبراهيم كما يتوهم من سؤاله هذا من لا علم له، لكننا أحق بالشك منه؛ لأنه الخليل والإمام الجليل، ولم لا وقد أمر صلى الله عليه وسلم بإتباع سنته وتعظيم مرتبته، وقد علم نبينا صلى الله عليه وسلم أنه أفضل من إبراهيم بنص قوله: «إنا سيد ولد آدم ولا فخر»، ومع ذلك تواضع ونفى الشك عن إبراهيم، بأنه لو ثبت له ثبت له، وهذا غاية في الشهادة ببراءة إبراهيم عليه السلام ونزاهته^(٣)، وقد ذكر ابن حجر -

(١) الأسماء والصفات: البيهقي: ٤٨٨/٢

(٢) تفسير النيسابوري: ١٣١/٢

(٣) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي: أحمد شهاب الدين ابن

رحمه الله - طرف الحديث الصحيح الذي قال فيه نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم: "أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَشْشُقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ"^(٤)

٤. وقال ابن الجوزي: (أنا أولى بالشك من إبراهيم) أي: أنا أولى أن أسأل مثل هذا الأمر العظيم الذي يشك السائل في إجابة ربه فيه، وإنما صار أحق لما عانى من تكذيب قومه له وردهم عليه وتعجبهم من ذكر البعث، فقال أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظيم ما جرى علي من قومي؛ ولمعرفتي بتفضيل الله عز وجل إياي على الأنبياء، ولكني لا أسأل.^(٥)

٥. وكذلك قال الحافظ ابن كثير^(٦)، والملا علي القاري^(٧).

قال الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي عند ذكر أقوال العلماء فيه: أصحابها ما قاله الإمام إبراهيم أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء، معناه إن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء

حجر الهيتمي المكي: دار الفكر: ١٧٩/١

(٤) رواه الامام مسلم: بقرم (٦٠٧٩) ٥٩/٧

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، / دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ

١٩٩٧م تحقيق: علي حسين البواب: ١/١٠١

(٦) تفسير القرآن العظيم ١/٤٦٥، ٤٦٦

(٧) شرح الشفا للملا علي القاري: ١٧٦/٢، وينظر: الشفا

١/٩٨، الملا علي القاري هو: أبو الحسن، علي بن محمد سلطان

الهروي، المعروف بالقارئ، نزيل مكة، فقيه حنفي، من صدور

العلم في عصره، من مؤلفاته: تذكرة الموضوعات، وشرح الشفا،

وغيره ذلك، مات بمكة المكرمة ١٠١٤هـ له ترجمة في: الرسالة

المستطرفة للكتاني ص ١٥٣، والأعلام للزركلي ١٢/٥.



خير مني لم يجز للولد أن يقول له: أنا خير منك وإن كان الأب قالها؛ لأنه إن قالها يكون قد أساء الأدب مع والده ووقع في العقوق، وهكذا حالنا عندما نسمع الأحاديث التي قصد بها النبي ﷺ التواضع.

ويظهر لي أيضا أن النبي ﷺ بين لأمتة حكما شرعيا، وهو جواز النجاة من الفتنة بأقرب فرصة، وترك العزم على الصبر عليها، مع أن الصبر أكمل وأعظم أجرا، إلا أن الناس متفاوتون في ذلك، فبين أن حكمه الجواز لمن عجز عنه، لئلا يفهم من صبر يوسف ﷺ أن يقتدي به، فإنه حال مختص به ﷺ، ولم يرد به نبينا ﷺ، انه لا يصبر، حاشاه من ذلك ﷺ، فهو إمام أولي العزم وأهل الصبر من الرسل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤)، وكذا قال العيني: قوله «ﷺ»: «لأجبت الداعي: يعني: لأسرعت إلى الإجابة إلى الخروج من السجن، ولما قدمت العذر، قال الله تعالى: ﴿فلما جاء الرسول قال ارجع إلى ربك﴾^(٥)، فقد وصفه رسول الله بالصبر؛ حيث لم يبادر إلى الخروج، وإنما قال نبينا ﷺ ذلك تواضعا، لا أنه كان في الأمر منه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف، والتواضع لا يصغر كبيرا، بل يزيده إجلالا وقدرًا، وقيل هو من جنس قوله ﷺ: «لا تفضلوني

الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أنني لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم ﷺ لم يشك^(١).

- وفي مسألة إجابة الداعي:

وهو ما ورد من الزيادة على الرواية الأولى، قوله ﷺ: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ» مما فهم على غير ما أراد ﷺ، قال العلماء: قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: فَهُوَ ثَنَاءٌ عَلَى يَوْسُفَ ﷺ وَبَيَانٌ لَصَبْرِهِ وَتَأْنِيهِ وَالْمُرَادُ بِالدَّاعِي رَسُولَ الْمَلِكِ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ ﴿إِنِّي نَادِي فِيهَا فَأَجِبْتُ إِلَى رَجْعِي إِلَى رَبِّي﴾ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ^(٢)، فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْسُفَ ﷺ مُبَادِرًا إِلَى الرَّاحَةِ وَمُفَارِقَةً السِّجْنِ الطَّوِيلِ، بَلْ تَثَبَّتْ وَتَوَقَّرَ وَرَاسَلَ الْمَلِكَ فِي كَشْفِ أَمْرِهِ الَّذِي سَجَنَ سَبَبِيهِ؛ وَلِتَظْهَرَ بَرَاءَتُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَغَيْرِهِ وَيَلْفَأَهُ مَعَ اعْتِقَادِهِ بَرَاءَتَهُ مِمَّا نَسِبَ إِلَيْهِ؛ وَلَا حَجَلٍ مِنْ يَوْسُفَ وَلَا غَيْرِهِ، فَبَيَّنَ نَبِيْنَا ﷺ فَضِيلَةَ يَوْسُفَ فِي هَذَا وَقُوَّةَ نَفْسِهِ فِي الْخَيْرِ وَكَمَالَ صَبْرِهِ وَحُسْنَ نَظَرِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ مَا قَالَهُ؛ تَوَاضَعًا وَإِيثَارًا لِلْإِبْلَاحِ فِي بَيَانِ كَمَالِ فَضِيلَةِ يَوْسُفَ ﷺ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣)، وعلى هذا أقول: إن الوالد إذا تواضع لابنه وقال له: أنت

(١) تعليق محمد فؤاد عبد الباقي صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: دار إحياء التراث

العربي - بيروت: ١/١٣٣

(٢) يوسف: الآية: ٥٠

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ١/٢٧٧

(٤) (الأحقاف: الآية: ٣٥)

(٥) (يوسف: الآية: ٥٠)

الخاتمة وأهم النتائج

١. إن عصمة الأنبياء عموماً وعصمة سيدنا محمد ﷺ على الخصوص أصل من أصول الدين لا تجوز مخالفته؛ لأنه مما اجمع عليه العلماء، ولا سيما العصمة من الكبائر، والشك في قدرة الله تعالى منها وهو محال في حق الأنبياء عليهم السلام وفي حقه ﷺ.
٢. إن المستدلين بحديث الشك الوارد بطريق صحيح قد خطئوا؛ بسبب الخطأ في تفسير الآية التي تذكر سؤال إبراهيم ربه عن كيفية إحياء الموتى، وتجاهلوا علاقتها بغيرها من آيات القرآن الكريم.
٣. إن حديث الشك مبني على نفي الشك عن إبراهيم ﷺ، وليس إثباته كما توهموا منه.
٤. لا يجوز الاستدلال بالأحاديث التي قصد فيها النبي ﷺ التواضع وهضم النفس على منزلته ﷺ؛ لأن التواضع من خلقه العظيم ﷺ.
٥. يجب الحذر من التشكيك في عصمة الأنبياء؛ لأن القصد منه التشكيك بالشرائع السماوية وخصوصاً شرعة خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.
- وصلى الله على نبينا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه والمهتدين بهداه إلى يوم الدين ... والحمد لله رب العالمين

على يونس»، وقيل إنه كان قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع، والله أعلم وأحكم.^(١)

المطلب الخامس:

مخالفة أصول الدين

وسواء بقصد أو بدونه، فقد خالف المشككون بالعصمة ممن استدلوا بحديث الشك، أصول الدين المتفق عليها في العقيدة الإسلامية، ومنها إجماع الأمة على عصمة أنبياء الله عز وجل ورسله عليهم السلام، من الكفر والشرك، والشك، ومن تسلط الشيطان عليهم، وأن تلك العصمة صفة أساسية فيهم، وشرطاً ضرورياً من شروط الرسالة، كما أنها جزء من الكمال البشري الذي كملهم الله عز وجل به، حتى يبلغوا رسالة ربهم إلى أقوامهم، وقد ذكرنا في موضوع مواطن العصمة اتفاق علماء الكلام ممن سار على السنة النبوية المطهرة على عصمتهم عليهم السلام^(٢)، ولا شك أن المخالف أصول الدين يكون من الخطورة بمكان لا يحسد عليه، فإن كان سببه الخطأ في التأويل والتفسير فإن صاحبه يجب عليه أن يرجع إلى الحق عند سماعه، وإن كانت الأخرى فإن الطاعن بالأنبياء محارب لله تعالى، وإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣) والله الموفق والمستعان.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني الحنفي: ٢٣/٢٦٢.

(٢) ذكرنا ذلك في موضوع مواطن العصمة في المبحث الأول.

(٣) (سورة غافر: الآية: ٥١)



مصادر البحث بعد القرآن الكريم

١٠. تفسير السراج المنير: محمد بن أحمد الشربيني / شمس الدين / دار الكتب العلمية - بيروت
١١. تفسير الشعراوي (الخواطر): فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)
١٢. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت: ٧٧٤هـ، المحقق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م)
١٣. تفسير النيسابوري: النيسابوري، موقع التفاسير (<http://www.altafsir.com>)
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري [٢٢٤-٣١٠هـ] المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م
١٥. الجامع لأحكام القرآن: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
١٦. الخصائص الكبرى للسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
١٧. دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين: صالح

١. أبو هريرة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الزهراء بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م
٢. إتحاف المرید شرح جوهرة التوحيد بهامش حاشية محمد الأمير على جوهرة التوحيد، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٦٨هـ.
٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل، دار الكتبي بمصر، بدون تاريخ.
٤. الأسماء والصفات: البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - ط١، جدة
٥. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، والمستعربين، والمستشرقين، للزركلي، دار العلم بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م.
٦. الإيوان: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده: مؤسسة الرسالة - بيروت ط٢، ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيه
٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠ م.
٨. تأويل مختلف الحديث لابن قتبية، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
٩. التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الريان للتراث، بدون تاريخ.

- الورداني الناشر تريدنكو بيروت ١٩٩٧م.
١٨. دلائل القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين، لعبد الله الصديق الغماري، المكتبة المكية بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٩. رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني (رسالة دكتوراه) إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة
٢٠. الرسالة المستطرفة للكتاني لبيان مشهور كتب السنة، للكتاني، تحقيق محمد المنتصر، دار البشائر بيروت ١٩٨٦م.
٢١. السيرة النبوية لابن هشام السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق الدكتور فتحي أنور، ومجدى فتحي، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنيلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
٢٣. شرح الخريدة مع حاشية الصاوي للدردير شرح الخريدة البهية، للدردير مع حاشية الصاوي على شرح الخريدة، مطبعة الاستقامة بمصر.
٢٤. شرح الشفا للقاضي عياض وشرحه للملا علي القاري شرح الشفا، لعل القاري، مكتبة المشهد
- الحسيني، بمصر
٢٥. شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، طبعة تركيا ١٢٧٧هـ
٢٦. شرح المواقف، للجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٢٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض، دار الكتب العلمية بيروت.
٢٨. صحيح البخاري، مع (فتح الباري لابن حجر العسقلاني) تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢٩. صحيح مسلم (بشرح النووي): مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: دار إحياء التراث، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي العربي - بيروت
٣٠. طبقات الفقهاء الشافعيين، لابن كثير، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور زينهم عزب، المكتبة الثقافية بمصر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣١. طبقات المفسرين، للدوادوي، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.
٣٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني الحنفي ملتقى أهل الحديث
٣٣. الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيتمي: أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي: دار الفكر
٣٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، بمصر.
٣٥. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، المطبعة



البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي
الرازي الشافعي: ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م
٤٥. المواقف في علم الكلام: عضد الدين الإيجي:
مكتبة المتنبي، بدون تاريخ
٤٦. نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض،
لشهاب الدين الخفاجي، دار الكتاب العربي بيروت
٤٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن
خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة
بيروت.

الأميرية، الطبعة الثالثة ١٣٠١هـ.
٣٦. كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو
الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، / دار الوطن -
الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م تحقيق: علي حسين
البواب
٣٧. لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن
علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري
الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار
صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ
٣٨. محمد رسول الله ﷺ: للشيخ محمد الصادق
عرجون، دار القلم بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ -
١٩٩٥م.
٣٩. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي،
بترتيب محمود خاطر، دار النهضة بمصر.
٤٠. المسامرة (لكمال الدين معيش) شرح المسامرة:
للكمال بن الهمام
٤١. مصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي،
لأحمد الفيومي، صححه مصطفى السقا، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٩هـ.
٤٢. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب
الأصفهاني، تصحيح إبراهيم شمس الدين، دار
الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٣. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق
عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي بمصر ١٣٨٩هـ.
٤٤. مفاتيح الغيب: الإمام العالم العلامة والخبر

